محاضرة: مناهج البحث العلمي

أولا/ تعريف المنهج العلمي:

يُمكن تعريف مناهج البحث العلمي على أنها جملة من الخطوات النظامية، والتي يمكن الاعتماد عليها لدراسة إحدى المعضلات العلمية، والتوصل لمعارف جديدة.

ويعرف المنهج العلمي بأنه طريقة وأسلوب اختيار وانتقاء وتنظيم واستخدام أدوات وعمليات وإجراءات البحث، بما يمكّن الباحث من جمع الحقائق وتحليلها والوصول إلى فهم وتفسير الظواهر والمشكلات التي يدرسها بأكبر دقة وموضوعية ممكنة، بحيث تختلف تلك الطرائق والأساليب بحسب اختلاف طبيعة المشكلات والموضوعات المدروسة، مما يشكل عدة مناهج علمية.

ثانيا/ الخصائص العامة لمناهج البحث العلمي:

- طريقة التفكير والعمل المنظمة التي تقوم على الملاحظة والحقائق العلمية وتشتمل على مجموعة من المراحل المتسلسلة المترابطة.
- الموضوعية والبعد عن التحيز والميول الشخصية.
- الديناميكية والمرونة بمعنى قابليتها للتعديل والتطوير من وقت لآخر نظرا للتقدم الذي يطرأ على العلوم المختلفة.
- إمكانية التثبت من نتائج البحث العلمي في أي وقت وباستخدام أساليب ومناهج علمية جديدة.
- التعميم، حيث يمكن تعميم نتائج البحوث العلمية ويستفاد منها في دراسة ظواهر أخرى مشابهة.
- القدرة على التنبؤ، فأساليب ومناهج البحث العلمي قادرة على وضع تصور لما يمكن أن تكون عليه الظواهر المدروسة في المستقبل.

هناك اختلاف كبير بين الباحثين والمفكرين في تصنيف وتمييز مناهج البحث العلمي، ويعود ذلك الاختلاف إلى التباين في تحديد طبيعة ومفهوم المنهج، وإلى تعدد التوجهات الفكرية والإيديولوجية للباحثين، واختلاف وجهات نظرهم في كيفية تصنيف وتمييز هذه المناهج، إضافة إلى اختلاف أسس ومعايير التصنيف ذاتها، كما تختلف بحسب اختلاف مجالات وطبيعة العلوم المستخدِمة لهذه المناهج.

أولا/ المنهج التاريخي

أ- **تعريف المنهج التاريخي:** هو المنهج الذي يهتم بدراسة الظواهر والوقائع في سياقها التاريخي، من خلال دراسة نشأة الظاهرة وتطورها والعوامل المساهمة في ذلك، وتحليل ماضي الظواهر من أجل تفسير الوضع القائم لها في الحاضر والتعرف على اتجاهاتها المستقبلية.

ب-خصائص المنهج التاريخي:

- يتعلق تطبيق المنهج التاريخي بدراسة ظواهر في فترات زمنية ماضية، أي أحداث لم يعايشها الباحثون فبالتالي لا تخضع إلى أحكام الحس والتجربة.
- نظرا لاهتمام المنهج التاريخي بدراسة ظواهر ماضية، فإنه يعتمد على بيانات وحقائق تاريخية، يمكن الحصول عليها من خلال تحليل الوثائق والمستندات وآثار معالم وشهادات موثوق بها.
- يحتاج الباحث إلى تحري وتحليل مدى مصداقية وموضوعية المصادر والوثائق المعتمد عليها في البحث، لأن مصداقية وموضوعية نتائج البحث هنا مرتبطة بشكل أساسي بدقة ومصداقية الحقائق المتضمنة في المصادر التاريخية.
- يقوم المنهج التاريخي على فرضية وجود علاقة سببية بين الماضي والحاضر، واتجاهات الأحداث والظواهر في المستقبل.

ج- نقد المعلومات في البحث التاريخي:

يقوم المنهج التاريخي على دراسة الأحداث والوقائع التاريخية في فترات زمنية ماضية، لهذا فإنه يعتمد على دراسة وتحليل الوثائق التي يتعين على الباحث نقدها وتمحيصها وتحري مدى موضوعيتها ومصداقيتها، حيث يوجد أسلوبين متكاملين في تحقيق هذا الغرض وهما:

- **النقد الخارجي للمصادر والوثائق:** ويهدف إلى تحديد مصداقية وأصالة المصدر، أي فيما إن كانت الوثيقة أصلية أو مزيفة أو شكلا مختلفا عن الوثيقة الأصلية، ويمكن الاعتماد على الأسئلة التالية في تحري موثوقية وأصالة الوثيقة:

- من كتب الوثيقة؟
- متى وأين كتبت؟
- ما هو القصد من كتابتها؟

- **النقد الداخلي للمصادر والوثائق:** ويركز البحث والتحري هنا على موضوع الوثيقة ومحتوياتها من المعلومات والحقائق التاريخية، إذ يمكن الاعتماد على الأسئلة التالية أثناء تحري ونقد مضمون الوثيقة:

- هل المعلومات والحقائق المتضمنة في الوثيقة دقيقة وموضوعية؟
- هل الشهود على درجة من الثقة؟ من حيث القرب الزماني والمكاني من الأحداث.
- هل النصوص وطريقة التعبير مناسبة؟
- هل الحقائق والمعلومات واقعية وتتناسب مع الظروف والأحداث السائدة في تلك الفترة؟

د- خطوات تطبيق المنهج التاريخي:

- تحديد الظاهرة أو المشكلة التي ستتم دراستها
- تحديد الفترة التاريخية التي سيتم تتبع الظاهرة خلالها
- تحديد ودراسة الظروف والعوامل المحيطة بالظاهرة.
- جمع الحقائق والبيانات حول الفترة التاريخية والتحقق من مصداقيتها وموضوعيتها

- دراسة وتحليل العلاقات السببية بين ظهور وتطور الظاهرة، وما يرتبط بها من تأثيرات ونتائج، بما يساعد على تفسير الظاهرة تاريخيا وحاضرا وتحديد اتجاهاتها مستقبلا.

ثانيا/ منهج المسح

هو منهج يقوم على جمع بيانات ومعلومات عن متغيرات قليلة لعدد كبير من الأفراد عن طريق الاستبيان كأداة أساسية، وقد يكون مسحا شاملا أو بطريق العينة، وفي أغلب الأحيان تستخدم فيه عينات كبيرة من أجل مساعدة الباحث في الحصول على نتائج دقيقة، وبنسب خطأ قليلة، وبالتالي تمكينه من تعميم نتائجه على مجتمع الدراسة.

- يستخدم المنهج المسحي في دراسة الأوضاع الراهنة للظواهر، من حيث خصائصها، أشكالها، علاقاتها، والعوامل المؤثرة فيها، حيث يقوم على رصد ومتابعة دقيقة لظاهرة أو حدث معين بطريقة كمية أو نوعية في فترة زمنية معينة أو عدة فترات، من أجل التعرف على خصائص الظاهرة أو الحدث، والوصول إلى نتائج وتعميمات تساعد في فهم الواقع وتطويره.

أ- خطوات البحث باستخدام المنهج المسحي:

- تحديد المشكلة وصياغتها.
- وضع الفروض وتوضيح الأسس التي بنيت عليها.
- تحديد البيانات والمعلومات التي يجب جمعها لأغراض البحث، وكذلك تحديد طرائق وأساليب جمعها.
- جمع البيانات والمعلومات من المصادر المختلفة وبالأساليب التي تم تحديدها.
- تنظيم البيانات والمعلومات وتحليلها وتفسيرها
- ضبط النتائج والاستنتاجات وصياغتها

- وضع التوصيات المناسبة

- **أهداف المنهج المسحي**

- يهدف المنهج المسحي إلى جمع البيانات والمعلومات عن مجتمع الدراسة. يهدف أيضًا لوصف الظاهرة أو المشكلة بدقة. يستخدم أدوات مثل الاستبيان والمقابلة.
- يحاول المنهج تحليل البيانات بدقة. يهدف لصياغة نتائج يمكن أن تساعد في تصور نظريات
- تتضمن أهداف الدراسات المسحية عدة جوانب. تشمل اختيار مجتمع دراسة ووصف المشكلة بدقة. تستخدم أدوات البحث لجمع البيانات.
- تعتبر الدراسات المسحية مهمة في مجالات كالإعلام والصحة والاقتصاد وغيرها. تساعد في الحصول على معلومات دقيقة عن هذه المجالات.
- لكن، يواجه المنهج مسحي تحديات. تشمل صعوبة صياغة الأسئلة وتصور الأسباب. يحتاج إلى اختيار عينة عشوائية ولا موضوعية.
- **ومن أهم أساليب منهج المسح:**
- **- المسح الاجتماعي**
- **المسح الإعلامي:** الذي يعتمد على مسح محتوى مكتوب أو مسموع أو سمعي بصري. حيث نستخدم أداة تحليل المضمون

تعريف تحليل المضمون:

يعرفه برلسون (Berelson)، بأنّه : «أسلوب بحث يهدف إلى الوصف الموضوعي المنتظم، والكمي للمحتوى الظاهر للاتصال» ويحدد كابلان (Kaplan) الهدف منه بقوله : «يهدف تحليل المضمون إلى التصنيف الكمي لمضمون معين، وذلك في ضوء نظام للفئات صُمّم ليعطي بيانات مناسبة لفروض محدودة خاصة بهذا المضمون»

إن الغرض الأساسي وراء استخدام أداة تحليل المضمون يكمن في إخراج عملية قراءة النصوص من نطاق الحدس الذاتي والانطباع الشخصي في فهمها، أي إبعاد ذاتية الباحث في هذه العملية، وتجنب الاعتماد على التأويل الفردي في إنجازها . وبالتالي فالهدف الأساسي من هذا الاستخدام هو الحرص على أن يكون التحليل موضوعيًا، من خلال إتباع خطوات علمية دقيقة، وشاملا في حصر جميع عناصر الموضوع المدروس، ومنهجيًا (منتظمًا) في إتباع قواعد مضبوطة صارمة غير قابلة للتغيير، وكميًا في اعتماد أسلوب القياس الحسابي أثناء التعبير عن النتائج.

ثانيا. إجراءات تحليل المضمون:

يمر تحليل المضمون بمجموعة من الخطوات المتصلة ببعضها بشكل وثيق، بعضها يشترك فيها مع أدوات البحث الأخرى، والبعض الآخر خاص فقط بأداة تحليل المضمون.

1- الإجراءات المنهجية العامة:

تتعلق بضبط الإشكالية، والقيام بالتحليل المبدئي، إلى جانب تحديد مجتمع البحث والعينة.

2- ترميز بيانات التحليل:

يقصد بهذه العملية مجموعة المراحل التي يتم من خلالها تحويل محتوى المضمون المراد دراسته إلى وحدات قابلة للعد والقياس. تتضمن هذه العملية: تصنيف المحتوى وتحديد فئاته، تحديد وحدات التحليل، تصميم استمارة جمع البيانات.

2-1 فئات التحليل:

وتنقسم فئات التحليل إلى قسمين رئيسيين:

- **الأول:** يمثل مجموع الفئات التي تصف كيفية أو أسلوب تقديم أو عرض المحتوى، وتهتم بالإجابة عن السؤال: كيف قيل؟ من بينها:

* **فئة شكل المادة الإعلامية:** في الصحف مثلا الأنواع الصحفية :كالخبر، التعليق، العمود....

* **فئة اللغة المستخدمة:** قد تقسم الى: لغة فصحى، لغة عامية،أو لغة عربية، لغة أجنبية...

* **فئة الموقع:** بالنسبة للصحافة مثلا الصفحة الأولى، الصفحة الثالثة، الصفحة الأخيرة....

- **الثاني:** يمثل مجموع الفئات التي تصف المعاني والأفكار التي تظهر في المحتوى، وهي الفئات التي تهتم بالإجابة عن السؤال : ماذا قيل؟ نذكر منها:

* **فئة المصدر:** لمعرفة الجهة، أو الشخص الذي تنسب إليه المعلومة.

* **فئة الموضوع :** هي الفئة الأكثر استخدامًا في دراسات تحليل المضمون، حيث يتم تقدير درجة الأهمية والتركيز النسبي الذي توليه المادة الإعلامية للنقاط المختلفة في المضمون، ويتم تقسيم كل موضوع رئيس إلى مواضيع فرعية (مؤشرات)، لتجيب على التساؤل الأساسي الخاص بالموضوع أو مجموعة المواضيع التي تدور حولها المادة الإعلامية.

* **فئة الفاعل:** تساعد في تحديد الأشخاص والجماعات التي لها دور معين من خلال المضمون.

* **فئة الجمهور المستهدف:** للكشف عن الجماعات التي يوجه إليها المحتوى أو المادة الإعلامية

* **فئة الاتجاه:** من الضروري بعد تحديد المواضيع التي تدور حولها مادة الاتصال، الكشف عن اتجاه هذا الاتصال: هل هو سلبي، إيجابي، أو محايد؟ ويمكن التعبير عنه بمؤيد، معارض، محايد.

- **وحدات التحليل:** حيث يتم تقسيم هذا المضمون إلى وحدات أو عناصر معينة، حتى يمكن القيام بدراسة كل عنصر أو فئة منها، وحساب التكرار الخاص بها.

3- **صدق وثبات التحليل**

4- **جمع البيانات الكمية وتفريغها**

5- **التفسير والاستدلال (التحليل الكيفي)**

ثالثا/ منهج دراسة الحالة

- يقوم هذا الأسلوب على جمع بيانات كثيرة وشاملة عن حالة فردية واحدة أو عدد محدود من الحالات، وذلك بهدف الوصول إلى فهم أعمق للظاهرة المدروسة، وما يشبهها من ظواهر، حيث تجمع البيانات عن الوضع الحالي للحالة المدروسة، وكذلك عن ماضيها، وعلاقاتها من أجل فهم أعمق وأفضل للمجتمع الذي تمثله.

- **خطوات أسلوب دراسة الحالة:**

- تحديد أهداف الدراسة، بما في ذلك تحديد موضوع الدراسة أو الظاهرة المدروسة، وكذا تحديد وحدة الدراسة وخصائصها.

- إعداد مخطط البحث أو الدراسة، وهذه الخطوة ضرورية لأنها تساعد الباحث في تحديد مساره واتجاه سيره، حيث تمكنه من تحديد نوع البيانات والمعلومات المطلوبة والطرائق المناسبة لجمعها وأساليب تحليلها.

- جمع المعلومات من مصادرها بالوسائل المختلفة. أما أدوات جمع البيانات في دراسة الحالة فهي: الملاحظة المتعمقة، المقابلات الشخصية، الوثائق والسجلات المختلفة

- تنظيم وعرض وتحليل البيانات بالأساليب التي يرى الباحث أنها تخدم أهداف بحثه.

- النتائج والتوصيات

- **ايجابيات وسلبيات أسلوب دراسة الحالة:** من ايجابيات أسلوب دراسة الحالة:

- توفير معلومات تفصيلية وشاملة ومتعمقة عن الظاهرة المدروسة.

- يساعد في تكوين واشتقاق فرضيات جديدة

- يمكن الوصول إلى نتائج دقيقة وتفصيلية حول وضع الظاهرة المدروسة مقارنة بأساليب ومناهج أخرى.

أما سلبيات هذا الأسلوب فيمكن حصرها في:

- صعوبة تعميم نتائج الدراسة على حالات أخرى مشابهة للظاهرة المدروسة خصوصا إذا كانت العينة غير ممثلة لمجتمع الدراسة.

- تحيز الباحث في بعض الأحيان عند تحليل وتفسير نتائج الظاهرة المدروسة، الأمر الذي يجعل الباحث عنصرا غير محايد، وبالتالي تبتعد النتائج عن الموضوعية.

رابعا/ المنهج التجريبي

يتميز المنهج التجريبي عن غيره من المناهج بدور الباحث الذي لا يقتصر فقط على وصف الوضع الراهن للحدث أو الظاهرة، بل يتعداه إلى تدخل واضح ومقصود بهدف إعادة تشكيل واقع الظاهرة من خلال استخدام إجراءات أو إحداث تغييرات معينة، ومن ثمة ملاحظة النتائج بدقة وتحليلها وتفسيرها. والمنهج التجريبي بهذا المعنى يشمل استقصاء العلاقات السببية بين المتغيرات المسؤولة عن تشكيل الظاهرة والتأثير فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، وذلك بهدف التعرف على أثر ودور كل متغير من هذه المتغيرات في هذا المجال.

- **إجراء التجربة وتنفيذها:**

عند تطبيق المنهج التجريبي، لا بد من تحديد نوعين من المتغيرات بشكل دقيق وواضح وهما:

- **المتغير المستقل:** وهو العامل الذي يريد الباحث قياس مدى تأثيره في الظاهرة المدروسة، وعادة ما يعرف باسم المتغير أو العامل التجريبي.

- **المتغير التابع:** وهذا المتغير هو نتاج تأثير العامل المستقل في الظاهرة.

يقوم الباحث بصياغة فرضيته محاولا إيجاد العلاقة بين المتغير المستقل والمتغير التابع، ولكي يتمكن الباحث من اختبار وجود هذه العلاقة أو عدم وجودها، لا بد من استبعاد وضبط تأثير العوامل الأخرى على الظاهرة قيد الدراسة، كي يتيح المجال للعامل المستقل وحده بالتأثير على المتغير التابع.

يتميز المنهج التجريبي بأنه يسمح بتكرار التجربة في ظل نفس الظروف للتأكد من صحة النتائج، إضافة إلى دقة النتائج المتوصل إليها. أما الصعوبات التي تواجه الباحث أثناء تطبيق المنهج التجريبي فهي التحيز سواء من الباحث نفسه أو من الأشخاص الذين تجرى عليهم التجربة، صعوبة التحكم في جميع العوامل والمتغيرات التي تؤثر في الظاهرة.

خامسا/ المنهج المقارن

يقوم المنهج المقارن على إجراء المقارنة بين ظاهرتين أو حالتين بغرض كشف أوجه التشابه والاختلاف، كالمقارنة بين نظامين إعلاميين، كما يمكن تطبيقه عند تحديد قوة وطبيعة الأثر لمتغير معين يتواجد في حالة معينة وغائب في حالة أخرى مثلا: إجراء مقارنة بين مؤسستين إحداهما تطبق نمط حديث في التسيير والأخرى لا تطبقه. ويطبق كذلك لدراسة أثر وجود متغير خلال فترة زمنية معينة وغيابه خلال فترة أخرى، حيث يتم لمقارنة بين نتائج حضور وغياب هذا المتغير، والفرق بينهما يعبر عن أثر غياب أو حضور هذا المتغير على اعتبار أن العوامل الأخرى ثابتة، مثل: مقارنة مبيعات مؤسسة بين فترتين إحداهما تطبق فيها سياسة تسويقية معينة وفي الأخرى لا تطبقها.

محاضرة: الإشكالية في البحث العلمي

تشير الإشكالية إلى موقف ملتبس أو ظاهرة تحتاج إلى توسع في دراستها، وهو ما يستلزم البحث والتقصي بأسلوب علمي منهجي أكاديمي يسمح بالوصول إلى النتائج والحلول المنتظرة.

مفهوم الإشكالية في البحث العلمي يعبّر عن وجهة نظر الباحث العلمي المرتبطة بمعالجة الدراسة البحثية وفقها، فلكل بحث إشكاليته الخاصة التي تميزه عن باقي الأبحاث التي تتناول مواضيع مماثلة.

ويمكن اعتبارها السؤال البحثي الذي يهدف لاكتشاف العلاقة التي تربط بين مختلف المتغيرات الدراسية، ويصل البحث إلى هدفه من خلال الإجابة عن سؤال البحث.

وبناءً على كل ما ذكرناه نستطيع تعريف الإشكالية في البحث العلمي بأنها عدد من التساؤلات البحثية التي تحتاج للإجابة العلمية عليها، والتي يمكن أن يطرحها الباحث من خلال قراءاته المرتبطة بالموضوع البحثي، وتأتي الإجابة بعد أن يتبع الباحث مجموعة من طرق التقصي والبحث، وتصاغ إشكالية البحث عبر سؤال واحد أو مجموعة أسئلة بحثية.

1- أهمية الإشكالية في البحث العلمي:

- إن تحديد مشكلة البحث العلمي وصياغتها هي المرحلة الرئيسية الأولى من مراحل البحث العلمي، والتي يعمل الباحث العلمي على اكتشافها وفهمها وصياغتها بشكل علمي، ومعرفة العلاقة بين متغيرات البحث بما يسمح بدراسة الإشكالية البحثية وتفسيرها وتحليلها، وبالتالي يتم الوصول إلى حلول واستنتاجات منطقية دقيقة.

- الإشكالية هي المحرك الرئيسي للدراسة البحثية، وبناء عليها تتحدد كيفية جمع المعلومات والبيانات البحثية، وصياغة فرضيات البحث، وهي الأساس الذي يعتمده الباحث لاختيار المنهجية العلمية المناسبة التي تسمح بالوصول إلى نتائج دقيقة لمشكلة البحث العلمي.

- إن التحديد السليم لإشكالية البحث العلمي يساعد الباحث العلمي على تحديد موضوعه البحثي، والإلمام الشامل به، وحصره ضمن المتغيرات التي تهم وتفيد الدراسة، وتساهم بتجنب الخروج عن موضوع البحث.

2- مراحل صياغة الإشكالية في البحث العلمي:

- اختيار مشكلة البحث العلمي المناسبة، والإلمام بها بشكل شامل، بما يسمح بالوصول إلى دراسة متكاملة تصل إلى نتائج منطقية سليمة.

- أن لا تكون المشكلة عامة وواسعة لدرجة لا يمكن على الباحث العلمي الإحاطة بها بشكل شامل، وفي هذه الحالة يمكنه اختيار إشكالية فرعية مستمدة من مشكلة عامة وواسعة، وهو ما يسمح للباحث الوصول إلى دراسة متميزة وناجحة تحقق الهدف المنتظر منها.

- بعد تحديد الإشكالية في البحث العلمي بشكل دقيق يتجه الباحث العلمي إلى صياغتها بالشكل السليم، عبر كلمات واضحة ومفهومة ودقيقة، وعبر صياغة الأهداف الرئيسية والفرعية للبحث المستمدة من إشكالية البحث، مع صياغة الأسئلة أو الفرضيات البحثية التي ستساهم في الوصول إلى استنتاجات وحلول منطقية.

- المراجعة الدقيقة لصياغة إشكالية البحث العلمي، والتأكد من سلامتها وخلوها من الأخطاء، لأن وجود مثل هذه الأخطاء يمكن أن يؤثر على سلامة البحث وجودته.